العرب
الإثنين 2020/08/24
السنة 43 العدد 11799

العمارة المعاصرة لا تعترف بالتاريخ النازي في ألمانيا

شقق فاخرة وفنادق بدل مباني هتلر العسكرية في الضواحي الراقية

يبدو أن المستثمرين في القطاع العقاري في ألمانيا لا يهتمون بالتاريخ النازي الملطخ بالدم والإبادات، لكن الحقيقة ليست كذلك فالباعثون العقاريون لا يهتمون إلا للربح المادي وهذا ما فتح جدلا بعد أن استغلوا مباني عسكرية نازية وحوّلوها إلى شقق فاخرة وفنادق للعطل.

تراث محمي

هامبورغ (ألمانيا) - أصبح في إمكان الطبقة العليا بمدينة هامبورغ الألمانية، شراء شقق فاخرة في مجمع سكني يشمل صالة للألعاب الرياضية، وقاعة لممارسة اليوغا وأربعة حمامات للساونا وردهة للاستراحة، شارك في تصميمها الفنان الألماني الشهير كارل ليغرفيلد، وذلك في نفس المكان الذي كان يتجمع فيه ضباط القوات المسلحة النازية أثناء الحرب العالمية الثانية.

ومن الواجهة، يبدو المبنى الذي تم تشييده عام 1936 بأعمدة ارتفاعها متر تصنع إطارا للمدخل إلى جانب نسرين كبيرين فوق السطح، وكأنه لا ينتمي إلى المكان وخارجا عن المألوف، وسط المنازل حديثة التصميم والقصور المجاورة.

وهذا المبنى يعد واحدا من العديد من المباني المماثلة المنتشرة في مختلف أنحاء ألمانيا، والتي لها علاقة بالنظام النازي وتم تحويلها إلى عقارات فاخرة. ويقول المنتقدون إن مطوري العقارات لم يبذلوا جهدا كافيا للاعتراف بتاريخ هذه المواقع ومنحها التقدير اللازم.

ومع وجود نوع من الاعتراف بالتاريخ يتمثل في الواجهة الأمامية لمبنى "سوفينباليس"وهو الاسم الذي أطلق الآن على المبنى الكائن في هامبورغ، إلى جانب لوحة معدنية تذكارية تتضمن معلومات عن تاريخه، وموضوعة أمام المدخل لتكون شاهدا على هذا التاريخ، في ضوء جرائم الحرب التي ارتكبتها القوات المسلحة النازية "فيرماخت" أثناء الحرب العالمية الثانية، فإن الناقد المتخصص في مجال المعمار رالف لانج يقول "كان المرء يتمنى المزيد من الوعي والمسؤولية التاريخية".

> مباني روغن العملاقة تخضع لأمر بالحفاظ عليها، ومع ذلك قام مستثمرون بشرائها وحوّلوها إلى فنادق وشقق فاخرة

ويضيف "وجود مبنى تذكاري للعهد النازي في الواجهة، وشقق سكنية فاخرة في الخلف، هذا يعد بمثابة ظلم بيّن للمبنى".

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، ظل المبنى لعدة عقود يضم إدارة الإمداد والتموين بالقوات المسلحة، حيث كان يتم فيها فحص الشباب بدنيا وطبيا لتحديد أهليتهم للخدمة العسكرية.

وفي عام 2006، باعت الحكومة الفيدرالية المبنى لشركة خاصة اسمها "فرانكونيا يوروباو"، قامت بهدم وإعادة بناء أجزاء منه بعد أن حصلت على ترخيص من مكتب الحفاظ على النصب التذكارية.

ويقول أوفه شميتس رئيس الشركة، إن هذه الأجزاء لا تستحق الحفاظ عليها، ومن بينها الجانب الخلفي برمته من المبنى، وبالتالي تم إحلال الأجزاء بمعمار معاصر.

ولا يبدو أن المشترين مهتمون بما يحمله المبنى من ماض، وهنا يوضح شميتز، أنه تم تشييد 105 شقق فاخرة من بينها ثماني لا تزال تبحث عن مشتر، غير أنه لا يشعر بالقلق. ويقول إن "مشروع سوفينباليس لا يواجه أية مشكلة تتعلق بالشقق الخالية".

وبعيدا عن سوفينباليس من جهة الشمال الشرقي بنحو 200 كيلومتر، توجد ضاحية بروارا الكائنة بجزيرة روغن ببحر البلطيق، وشيد النازيون في هذه الضاحية ما يعرف باسم "مباني روغن العملاقة"، وهي سلسلة طولها 2.5 كيلومتر تضم خمسة مجمعات خرسانية، وهذه المجمعات التي تم تشييدها خلال الفترة بين 1936 و1939، تخضع لأمر بالحفاظ عليها، ومع ذلك قام مستثمرون من القطاع الخاص بشراء المجمعات بالتدريج وحولوها إلى فنادق وشقق لتمضية العطلات.

غير أن المجمعات تضم أيضا مركزين للتوثيق والحفظ، ويعمل كريستيان دينسي في أحدهما، ويقول "إن التاريخ الحافل بالقسوة للمكان لم يعرض بشكل كاف".

ويضيف، إنه "كان يتم استخدام السكان خاصة من أوروبا الشرقية في أعمال السخرة بهذا المكان أثناء الحرب، كما أن قوات الشرطة التي شاركت في وقت لاحق في ترحيل اليهود إلى معسكرات الموت، أو تلك التي ارتكبت جرائم حرب داخل الاتحاد السوفييتي أو اليونان كانت تتلقى تدريبها هنا".

وفي ميونخ، تحول الآن ملجأ حصين سابق للنازيين إلى شقق سكنية ومكاتب، وهو قائم عند مفترق للطرق حافل بالحركة بضاحية شوابينغ الراقية. غير أن التاريخ حاضر في كل بقعة من هذا المكان كما يقول المستثمر ستيفان هوغلماير.

منتجعات على أنقاض التراث النازي

واشترى هوغلماير المكان منذ بضعة أعوام وقام بتجديده، وبجانب الشقق والمكاتب توجد مساحات للمعارض، ويقول إن تاريخ الملجأ الحصين يقوم دائما بدور في هذه الغرف، فهي منصة مفتوحة تهدف إلى تحفيز المناقشات حول دور المعمار في المجتمع.

ومثل هذه المساحة المهمة المفتوحة أمام الجمهور ليست موجودة في سوفينباليس بهامبورغ، وهو أمر يأسف له فرانك بيتر هسه الرئيس السابق لمكتب الحفاظ على النصب التذكارية بهامبورغ.

ويقول هسه، إن المبنى يفتقر إلى مواجهة تاريخه، ويدعو إلى إقامة مركز للتوثيق بداخله.

بينما يعرب شميتس عن اعتقاده بأنه لا يمكن تنفيذ هذه الفكرة داخل مبنى سكني، كما أن مكتب الحفاظ على النصب التذكارية يقول إنه لا يمكنه أن يصف استخداما محددا لمالك المبنى.

ويرى شميتس، أن تحويل المكان إلى مبنى إداري من شأنه أن يسبب إزعاجا للمنطقة السكنية الهادئة، ويقول إن اللوحة المعدنية التذكارية المتاخمة لمدخل المبنى كافية للتذكير بتاريخه.

فنان يبحث عن الحقيقة في يوميات أشهر مجرمي حرب البلقان

بلغراد – على مدى أربع سنوات، كانت أيام فلاديمير ميلادينوفيتش تبدأ على الدوام بفنجان قهوة وبيوميات أحد أشهر مجرمي الحرب في البلقان، راتكو ملاديتش.

فقد نسخ هذا الفنان كلمة بكلمة بخط اليد 400 صفحة من هذه اليوميات التي بدأ ملاديتش كتابتها في 1992، على أوراق بيضاء كبيرة باتت تغطي جدران صالة "أوغستر" الفنية في بلغراد.

وقد كتبت اليوميات بلغة عسكرية محضة، لكنها ليست عبارة عن ملاحظات مدونة بشكل عشوائي كما يتوقع من رجل غالبا ما وصف بأنه "تجسيد للشر"، بل هي ملاحظات مقتضبة مكتوبة بعناية تتناول السياسة والمسائل العسكرية مع تعليقات وملاحظاتانيقة.

ويوضح فلاديمير ميلادينوفيتش، "في نهاية المطاف يمكن القول إن اللغة عادية لا تكشف الكثير، إلا أنها في الوقت عينه تقول الكثير من الأمور".

ويقول، إن نَسخَ هذه اليوميات "كان مسعى يهدف إلى مواجهة الماضي الذي لا زلنا مضطرين إلى تناوله اليوم بعد 25 عاما على الحرب".

ففي حين يأخذ القضاء مجراه، لا تزال جروح النزاعات التي مزقت يوغوسلافيا السابقة غير ملتئمة.

فقد قضت المحكمة الدولية الخاصة بيوغوسلافيا السابقة بسجن ملاديتش مدى الحياة، إلا أن استئناف الحكم مقرر يوم 25 أغسطس، بعد أن أدانته التحقيقات بارتكاب مجازر بحق الآلاف من البوسنيين المسلمين والكروات.

وواجه 11 اتهاما بالإبادة الجماعية، وارتكاب جرائم حرب، وجرائم ضد الإنسانية، وغيرها من الفظائع التي ارتكبت في حرب البوسنة في تسعينات القرن الماضي. وتولى الدفاع عن نفسه في المحاكمة التي جرت بمقر محكمة الجزاء الدولية التابعة للأمم المتحدة في لاهاي.

وواجه ملاديتش اتهامين بالتطهير العرقي، إحداهما مجزرة سربرنيتسا التي وقعت في يوليو 1995، وراح ضحيتها أكثر من 7500 رجل وطفل من المسلمين. ووصفتها الأمم المتحدة بأنها كانت جزء من حملة "لإرهاب وإفناء البوسنيين المسلمين، والبوسنيين الكروات".

والاتهام الآخر بالتطهير العرقي يتعلق بطرد مئات الآلاف من المواطنين غير الصرب من سبع بلدات وقرى في البوسنة. وكانت هذه التهمة قد أُسقطت عنه في يونيو 2012، لكن هيئة المحكمة أعادتها مرة أخرى في يوليو 2013.

لكن إرث الزعيم العسكري السابق لصرب البوسنة البالغ 77 عاما، يبقى موضع جدل. فلا يزال الكثير من الصرب يرون فيه بطلا ويؤاخذون على القضاء الدولي أنه اختزل نزاعات التسعينات بمواجهة بين الخير والشر.

ولم تنأ الحكومة الصربية التي تتعاون على مضض مع المحكمة في لاهاي، بنفسها عن ملاديتش يوما ولم تعترف بمجازر سربرينيتسا كذلك.

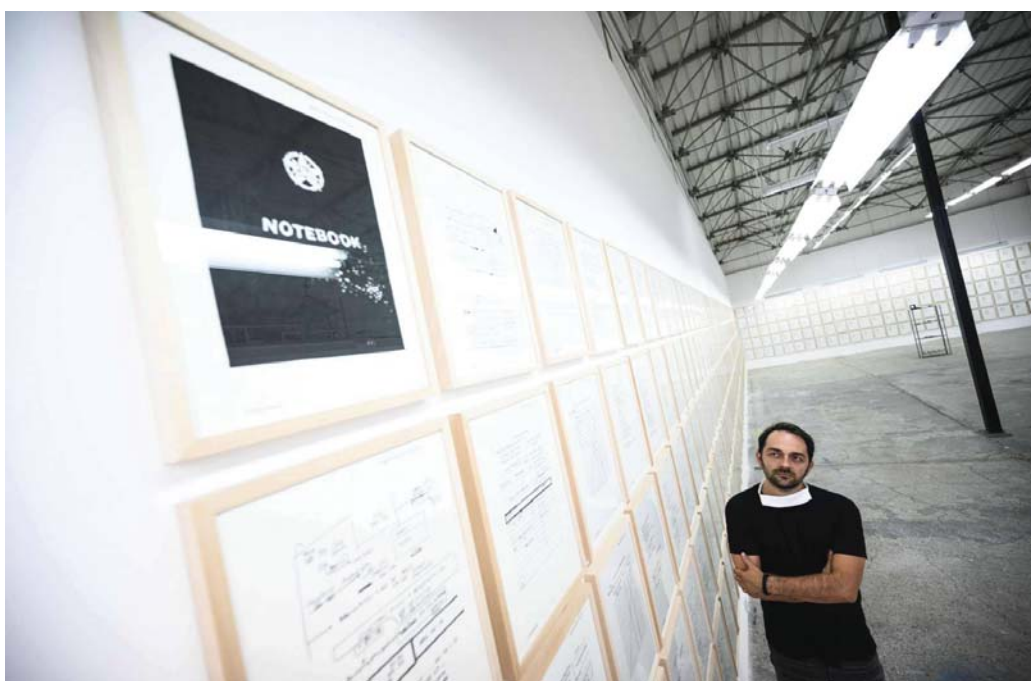

الفنون تقرأ الوثائق التاريخية

وكانت قوات ملاديتش ارتكبت في يوليو 1995 مجزرة في حق ثمانية آلاف رجل وصبي مسلم في سربرينيتسا.

وعندما أدانت المحكمة الجنائية الدولية ليوغوسلافيا السابقة ملاديتش، دعا الرئيس الصربي ألكسندر فوكيتش "إلى التطلع إلى المستقبل".

واختار ميلادينوفيتش طريقا آخر من خلال الاطلاع يوميا على محفوظات، داخلا في كل تفاصيل ماضي بلاده المضطرب.

وفي أعماله السابقة، سبق للفنان أن نسخ كتابة وثائق ويوميات مثل قائمة قطع عثر عليها في مقابر جماعية مرتبطة بالنزاع في كوسوفو (1998–1999).

أما معرضه الأخير وهو بعنوان "الدفتر"، فليس سوى التجسيد الأخير لهذه اليوميات التي لها تاريخها الخاص.

وهذه اليوميات مؤلفة من 18 دفترا اكتشفها محققو المحكمة الدولية قبل عشر سنوات وراء جدار مزيف في منزل زوجة ملاديتش.

في تلك الفترة، كان ملاديتش لا يزال فارا، وقد أوقف في 2011 بعدما بقي متواريا عن الأنظار مدة 16 عاما.

واليوميات مكتوبة بخط اليد باللغة الصربية وقد أصدرت نسخة رقمية منها وترجمت بعد ذلك إلى الإنجليزية والفرنسية لفائدة المحكمة الدولية.

وفي إطار هذا المشروع، أعاد ميلادينوفيتش ترجمة هذه النصوص إلى الصربية انطلاقا من الإنجليزية.

وفي أحد فصول هذه اليوميات، مسح للعدد المحدد للصرب في مدن بوسنية مختلفة وهو إحصاء يدفع إلى التفكير بالتطهير العرقي الذي وقع عندما أقام ملاديتش كيانا بغالبية صربية في مناطق كان يسكنها من قبل أيضا كروات ومسلمون.

وكتب ملاديتش، ناقلا حديثا مع مومسيلو ركايسنيك، أحد القادة السياسيين لصرب البوسنة الذي أدانه القضاء الدولي أيضا، "لدينا دولة في متناول اليد ينبغي فقط أن نتلقف الفرصة".

> فلاديمير ميلادينوفيتش فنان ينسخ بخط اليد 400 صفحة من يوميات راتكو ملاديتش ليعرضها في صالة أوغستر الفنية

ويصعب معرفة مواقف ملاديتش الشخصية. وهو يكتب على صفحة تحت عنوان "مساهمتي" قائمة بأشياء ضرورية لصرب البوسنة. وترد في القائمة كلمات "وحدة" و"يد عاملة وضباط" و"أموال لشن الحرب" و"حلفاء".

وأثار المعرض الذي أقيم في قاعة "أوغسبرغ" اهتماما أكبر في الخارج، الأمر الذي لا يستغربه ميلادينوفيتش.

ويقول "هو يسعى إلى القيام بعكس ما يريد المجتمع القيام به، أي النسيان والنفي ومحو مواضيع بهذه الأهمية من الماضي".